منهج المرافقة التربوية في تخريج العلماء من خلال كتب السير في جبل نفوسة إلى غاية القرن الثامن الهجري – أعلام ومعالم منهجية–

أ. زكرياء بن صالح عيسى

قسم العلوم الإسلامية، كلية الحضارة، جامعة أحمد بن بلة 01، وهران، الجزائر

zakilbahit@gmail.com

+213556989376

الملخص:

تعدّدت المقاربات التربوية بتعدد فلسفات المجتمعات وغاياتها وطموحاتها الحضارية، واختلفت باختلاف التحديات في مختلف العصور والمراحل الزمنية. تعتبر المرافقة من الأساليب التي لا غنى عنها لأي نظام تربوي يسعى لبناء متكامل إنساني للإنسان، وهو في مقابل النظام التعليمي التلقيني الآلي الذي يرى أن المتلقي وعاء يحمل المعلومة بشكل حيادي، مثل أي جهاز أو آلة تحفظ وتشغّل المعلومات والبيانات. وقد ظهر عجز المنظومة المدرسية (النظام السكولاستيكي) الذي ظهر مع عصر الصناعة، وظهر ضعفه في منبته، وظهرت تشوهاته التي لا تكاد تُحصى في المواطن التي تم نقله إليها، فبات من الضروري على كل مجتمع أراد أن يشكّل مستقبله بيده أن يبدع أدوات تربية أبنائه من ذاته.

انطلاقا من هذه المقدمة تبحث الورقة في المعالم المنهجية والأساليب التي خرّجت علماء في مختلف المراحل التاريخية في جبل نفوسة إلى غاية القرن الثامن، بهدف الوقوف على جهود علماء الجبل خلال الفترة في التعليم وتخريج العلماء، والوقوف على إبداعاتهم ومعالم تميزهم، للوصول في النهاية إلى المعالم المنهجية والأساليب التربوية التي يمكننا البناء عليها لتصميم أنظمة تربوية تنسجم مع الرؤية الكونية التوحيدية، ولديها القدرة على مواجهة مختلف التحديات.

اعتمدت الورقة على منهج التحليل بالنماذج، حيث تبنت الورقة نموذجا تربويا نظريا تشكّل من خلال أحدث المصادر المعاصرة في تنشئة إنسان متوازن مؤمن فعال يعيش عصره[1]، وتمخّض من وحي ممارسات تربوية في مختلف السياقات التربوية. واعتمدت على المنهج التاريخي الاسترادي بالعودة إلى كتب السير الإباضية واستنطاقها واستخراج المعالم المنهجية التي كانت تشكل منهج المرافقة في جبل نفوسة إلى غاية القرن الثامن الهجري

من نتائج للورقة استكشاف دور حلقات منازل الشيوخ وما تحتويه من معالم منهجية في الممارسة التربوية،

1 رسالة المدرسة العلمية الخاصة: من أجل تلميذ مؤمن فعال يعيش عصره. انظر موقع المدرسة: https://alilmiya.net

واستكشاف معالم التعليم عن طريق السفر والزيارة وما فيه من أبعاد ومقاصد ومخرجات، واستكشاف الأبعاد التربوية للنظام التعليمي الإقامي، واستكشاف دور المرأة في تشكيل من العلماء، وأن السياق التاريخي والأحداث التي عاشها الإباضية في جبل نفوسة كان لها أثر كبير في ظهور أنماط مرافقة وتعليم وتشكيل أصيلة لطبقات كثيرة من العلماء.

وفي الختام تظهر آفاق واسعة وتساؤلات من خلال تلمّس أطراف وبدايات هذا الموضوع الشيّق والحيوي، وتعتبر هذه الورقة لبنة تضاف إلى لبنات أخرى قد درست النظام التعليمي في جبل نفوس عامة، تسعى إلى الدفع بالدراسات نحو مجال المرافقة التربوية، نظرا لأهميته التي تزداد يوما بعد يوم في ظل التحديات التي نعيشها في سياقنا التربوي

الكلمات المفتاحية: المرافقة التربوية – كتب السير – نموذج الرشد – مشروع الصحبة – ما بعد الحداثة – الصورة الإدراكية – التعليم المنزلي – نمط الإقامات الداخلية – التعليم بالأسفار

المقدمة:

الخلفية الفكرية:

يرى نموذج الرشد [1] أن الصلة الوطيدة بين الفكر والفعل هي المخرج الأساسي للأمة من المأزق الذي تعيش فيه، وأنه لا مناص لأي أمة من الاجتهاد في إبداعها أدواتها التربوية، إن أرادت التحرر من التبعية، وسعت إلى تشكيل مستقبلها بيدها، وهذا من خلال العودة إلى الأصول ومحاولة تنزيلها إلى الواقع، ومعالجة تفاصيله وتعقيداتها وإشكالاته والعودة لها مرة أخرى إلى الأصول ومحاولة الإجابة عنها، وهكذا نقترب من التناغم مع الذات الحضارية ويتحقق الانسجام في تشكيل شخصية الفرد.

تولّد في سياق نموذج الرشد مبادرة تربوية تدعى "الصحبة" والتي ترتكز أساسا على المرافقة التربوية جنبنا إلى جنب مع العملية التعليمية الرسمية، محاولة منها لاستكمال النقص في بناء الشخصية المسلمة المتوازنة، تحقيقا لحركية الفكر والفعل تأتي هذه الورقة في سياق تمحيص أدوات برنامج "الصحبة" وإثراء لها من خلال العودة إلى كتب السير التي يعتبر مصدرا ثريا لتفاصيل الحياة الاجتماعية الإباضية، بهدف مناقشتها والبحث في مدى ملاءمتها لظروف العصر.

تبحث الورقة في أهم الأساليب المتبعة لتكوين المشايخ في جبل نفوسة، وفي الخصائص المنهجية لها، وكيف يمكن إسقاطها لتكون ملائمة لعصرنا؟ وقد اطلعت الورقة – حسبما سمح به الوقت – على دراسات قريبة منها أهمها دراسة بعنوان: جهود علماء جبل نفوسة ودرهم في إثراء الحياة العلمية، والتي تطرق فيها الكاتب إلى سرد تاريخي مستفيض لتفاصيل الحياة العلمية بالجبل، ودراسة بعنوان: منازل العلماء ودورها في النهضة العلمية في

جبل نفوسة ق03-ق09هجري، حيث ركّز فيها الكاتب على منازل العلماء باعتبارها محاضن لرعاية العلم والعلماء

تهدف الورقة إلى:

استخلاص أهم الأساليب المتبعة في تنشئة الطلاب

استخلاص الخصائص الكلية المشتركة مع خصائص العصر الحالي

السياق التاريخي والأحداث التي عاشها الإباضية في جبل نفوسة كان لها أثر كبير في ظهور أنماط مرافقة وتعليم، حيث إن وقعة مانو وما استشهد فيها من علماء كثيرون كانت سببا أساسيا للحرص الشديد على الكتمان، وعلى ظهور عدة أنماط واجتهادات لاستمرار التعليم والدعوة والتثبيت على المذهب.

منهجية البحث:

اعتمدت الورقة على المنهج الاسترادادي التاريخي، وقد تم التركيز على كتب السير بشكل أساسي مثل كتاب الطبقات للدرجيني وكتاب السير للشماخي، وبشكل أكبر على روايات الأشياخ للبغطوري، باعتبار كونه ابن جبل نفوسة، وأنه مركّز على تاريخه

واعتمدت أيضا منهج التحليل بالنماذج والذي يمكن أن ندرجه ضمن المنهج التحليلي مع إضافة الاعتماد في التحليل انطلاقا من نموذج معرفي وتربوي وهو نموذج الصحبة للمرافقة التربوية، وهو نموذج يعتمد في شقه المعرفي على البعد التوحيدي الإنساني في رؤية للإنسان، في مقابل النموذج الغربي المادي.

أهم منطلقات نموذج الصحبة المعرفي ذات الصلة بالورقة اعتماد **مصدرية الوحي** في الدراسات الإنسانية، ولا يمكن بدلا من ذلك الاعتماد بشكل كلي ونهائي على الدراسات البشرية في التعريف بطبيعة الإنسان وتحديد غاياته ومناهج تربيته مهما ادعت الدقة. واعتبار أن الإنسان حر من كل شيء وعبد لله تبارك وتعالى، وأن أسمى **غايتها أن تعرف الإنسان بخالقه تعالى** وأن تربطه به، ولا يصح مثلا أن تسيطر على الإنسان سياسة تربوية مهما تنوعت المسميات. وأن **معرفتنا محدودة** في دراسة الإنسان نظرا إلى **تركيبية النفس البشرية**، ومحدودية مداركنا وأدواتنا البحثية، هذا ما يجعلنا نسائل النماذج التي تسعى إلى التحكم المطلق في السلوك البشري وتربيته من خلال مقاييس واختبارات صارمة ودقيقة، نسائلهم ما المبرر المنهجي الذي يخوّلهم تلك الدرجة من اليقينية في مناسبة تلك الأدوات الصارمة مع الطبيعة البشرية النسبية؟

تمت صياغة الخصائص التربوية لبرنامج الصحبة بناء على المنطلقات المعرفية السابقة وهي:

تحقيق بناء متكامل للشخصية المسلمة بين البعد المادي والبعد الروحي، وبين البعد الشخصي والبعد الاجتماعي

ترسيخ البعد القيمي في حياة الفتى وتمكينه من مواجهة تأثير الماديات والشهوات

توفير بيئة تربوية ثرية بفرص التعلم من خلال بناء شبكة علاقات يتم تشرّب منها الأبعاد التربوية

التعلم بالممارسة والاستكشاف والتدرب على ما ينفعه في حياته الشخصية والاجتماعية

تحقيق التناغم بين شركاء العملية التربوية (الأسرة، المدرسة، فعاليات المجتمع) في عملية التنشئة

تحاول الورقة قراءة الأساليب التربوية المعتمدة انطلاقا من الأبعاد المعرفية السابقة والخصائص التربوية التي يسعى برنامج الصحبة إلى تصريفها والالتزام بها

النتائج:

ميزات وخصائص أساسية:

تعتبر الرؤية الكونية إلى الحياة مفصلية ومحدد في نمط الحياة ومعانيها الكبيرة، وإن أي مطلع على كتب السير يظهر وللوهلة الأولى النفس الوجداني الروحي والتوجه القوي لله تبارك وتعالى. ولذلك فإن معنى التفرغ لطاعة الله يعني العبادة وطلب العلم، حيث ورد أن المشايخ كانوا يزرعون شهرين ويحرثون شهرين ويتفرغون للعبادة ثمانية أشهر [2، p. 57]، كما أنهم يرون إلى العلم بأنه أداء لواجب شكر النعم، حيث ورد عن أبي يعقوب يوسف بن أبي عمران موسى أنه قال: إذا لم أزدد علما في يوم فلا أود نفسي أن آكل من ذلك اليوم [3، p. 700]

تظهر قوة أي نظام تربوي في الآليات الداخلية التي تضمن له الاستمرار في الحفاظ على جوهره في نظام تنمية مستدامة للقدرة المعرفية، ويظهر ذلك في مختلف الصيغ التعليمية من خلال ما اقترحنا على تسميته: **نظام الترشيح**، حيث يعتبر الكل متعلم بالنسبة لمن أكثر منه علما، والكل معلّم بالنسبة لمن هو أدنى منه علما، وهكذا يتحمل الجميع مسؤولية استمرارية أمانة العلم، إما أخذا وإما عطاء. ورد عم أبي عبد الله بن بكر الفرسطائي يقول لأحد تلامذته عند المغادرة إلى أهله: (اذهب إلى منزلك وأهلك فإن وجدت من تقدّمه في الأمور فتكتفي به فاتبعه، فإن لم تجده ووجدت من تتعاون معه فتعاونوا على البر والتقوى، وإن لم تجد ووجدت من يقتدي بك في الخير فكن إماما، وإن لم تجد من هؤلاء أحدا فالزم الطريق وحدك وجانب الناس) [4، p. 207] وكان يضبط تلك العلاقة أحيانا توجيه عقدي مثل مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي أحيان كثيرة توجيهات أخلاقية روحية من وحي سير الأجداد، وهو ما يحقق تناغما وانسجاما بديعا [2، p. 66] في الحلقة العلمية الواحدة، وفي المجتمع الواحد، حيث إن الكل معترف بفضل الكل.

تظهر واضحة الحالة الإنسانية العفوية المخلصة للعملية التعليمية، بعيدا عن أي أهداف ومقاصد خاصة لأشخاص معينين أو لسلطة معينة، فالكل متفق على أن العلم ليس إلا لله، وما الاختلاف إذا حصل إلا لوجهه، وما الغاية إلا التقرب إلى الله تعالى كل حسب وسعه ومستطاعه، وما على المعلم والمتعلم إلا بذل الوسع، فإن

حقّق مراده العلمي فذلك هو المبتغى، وإن لم يحققه فيكفي أنه مات على طريق طلب الحق والخير وتقديمه للآخرين، ومثل هذه الروح المعنوية تلقي بظلالها على التفاصيل التنظيمية والنتاج العلمي الرصين، وتجعل الإنسان ينطلق واثقا في المساهمة في مجتمعه بكل ما أوتي من إمكانات وجهد وقصد، لا ينتظر من سلطة أن تأمره أو تنهيه، أو تمارس عليه إقصاء أو استقطابا أو إعناتا.

وصلت الدراسة إلى استكشاف عدة أنماط تربوية في كتب السير، واجتهدت في تصنيفها حسب وعائها الزمني أو المكاني، سعيا للإحاطة والتحكّم في أكبر عدد ممكن من التفاصيل التقنية التي تحكم العملية التربوية، وهي: التربية بالصورة الإدراكية، والتعليم المنزلي، والتعليم بالأسفار، ونمط الإقامات الداخلية، ونمط التعليم بالحلقات المسجدية، ولكل نمط وجود في عصرنا الحالي، لكنه وجود استثنائي إلى جانب التعليم الرسمي الذي يعتبر هو الأصل بعد الاجتياح المنهجي والفكري والتربوي الغربي.

التربية بالصورة الإدراكية:

تعرف الصور الإدراكية بأنها هي: صورة مجازية لقاعدة كلية[2]، وتعتبر من أقوى الوسائل في توجيه التصورات وتصحيح السلوك، لأنها تجمع بين خاصيتين العمق والبساطة، أما العمق باعتبار أن مضمونها هي القواعد الكلية، وأما البساطة باعتبار اتخاذها المجاز والتصوير أسلوبا. وهي قريبة من الأمثال والحكم وتعتبر من مشكّلات الصور الإدراكية، كقول موسى بن علي لأحد تلامذته: (الحجر المتقلب لا يثبت عليه شيء من البناء)، وقول الشيخ أيوب بن اسماعيل ينصح أبو عمرو عثمان بن خليفة: "العلم والوطوطة لا يلتقيان" [4، p. 304]، وقولهم فيمن لا يتبع شيخا في طلب العلم، ولا يلتزم منهجا سليما في ذلك: (من يدرس كتب اللقط مثل من يهيل أنواع الثمر إلى غرائره) [4، p. 209]9، وقد تكون الصورة الإدراكية لفظية على شاكلة مثَل أو حكمة، وقد تكون موقفا عمليا مثال ذلك ما ورد عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي أنه كان مع طلبته يكنسون غارا فجعل يرفع معهم الكناس، فقال له يوما بعضهم: اقعد واسترح يا شيخ، فالطلبة يكفونك. قال لا تحملون عني ذنوبي. فقال له: فاحمل إذن كثيرا كثيرا. قال: لو كان يؤخذ لأخذنا به آنفا. [4، p. 212]

تحتوي كتب السير على عدد كبير جدا من الصور الإدراكية، وهذا نظرا إلى طبيعتها التربوية الإيمانية بالدرجة الأولى، وقد كان المشايخ يستعملونها بشكل واسع وبمختلف المواطن والأغراض، وفيما سيأتي أمثلة على ذلك دون الاقتصار على ما ورد عن مشايخ نفوسة، وإنما ما سيذكر هنا من باب التمثيل، وفي مؤلفات علماء نفوسة المئات منها، وقد تكون بحوثا مستقلة بحول الله تعالى

2 انظر: أطروحة الدكتوراه حول الصور الإدراكية في الدرس العقدي النبوي، للباحث عيسى زكرياء.

يَعرفُ الرّاعِي النّفُورَةَ مِن غَنَمِه:

تلخّص هذه الصورة الإدراكية العلاقة الوطيدة بين الطالب وشيخه، وهي صورة من وحي البيئة الصحراوية بامتياز، حيث قرر أبان بن وسيم أن يغادر قبل أن يتم ما عليه من طلب للعلم، ثم عاد ليستذكر مسائل علم لم يُحكم وثاقها، فبادره شيخه أبو خليل الدركلي بالمسائل التي نسيها حين رآه مقبلا قبل أن يتكلم بها أبان، كما أن هذه الصورة تبرز تلك العلاقة الحميمية بين الطالب وشيخه، والتي تجمع حرص الشيخ على طالبه مثل حرص الراعي على غنمه إقبالا وإدبارا، إلى تواضع الطالب أمام شيخه واستسلامه تمام كاستسلام الشاة لتوجيهات راعيها تَضْيِيعُ كتابٍ كتَضييعِ خمسة عشر عَالِما في مَقَامِ عبد الله بن الخير:

أراد شيخ اختصار الكلام الطويل في زمن الحاجة الملحة إلى الكتابة والكتاب، وإلى الجلوس إلى العلماء أيضا، فقال لطلبته:(من ضيع كتابا كان كمن ضيع خمسة عشر عالما مثل عبد الله بن الخير) [5، p. 255]، وفي العبارة رفع لشأن العالم وضرورة مصاحبته، باعتباره قريب في الأهمية إلى الكتاب وإن لم يساويه مَنْ مَنَعَنا حَلْبَ نَاقَتِنَا:

صورة إدراكية مخيفة في وقعها القلبي الوجداني، نتيجة وقعها الحسي، إذ كيف يمكن لإنسان بلغ به الجوع مبلغا كبير، فراح يراود ناقته ليحلبها، ثم أتى شخص وهيّج الناقة فنفرت وسكبت ما تم حلبه من الحليب، هكذا أراد الشيخ جنون بن يمريان أن يكون وقع المعنى في قلب طلبته، حين قالها لرجل تحرك وقت الدعاء في المجلس، حتى يحقّقوا أسباب الخضوع والخشوع لله تعالى بداية من السكون المطلق للأعضاء، حتى تتبعها الجوارح بعد ذلك [3، p. 702]

وفيما يلي جملة من الصور الإدراكية، لعلها تتيسر فرص أخرى للوقوف عليها:

عن أبي القاسم يونس بن أبي الحسن في الحض على طلب العلم:" أما بعد فاجعلوا حوائجكم بكريات، وإذا وجدتم ما ترعون فارعوه رعى النهماء من الغنم، ولا تمجوه مج الريان الماء" في كلام كثير ينشطهم به إلى القراءة والاجتهاد في الطلب" [4، p. 263]

عن شيخ قال لأبي عبد الله محمد بن مانوج لقيه يرعى الغنم، وكان ذلك سببا في الذهاب لطلب العلم:(اعلم أن غنما ترعاها اللحية هي خير الغنم، وأن لحية تتبع الغنم هي شر اللحى"، ثم لقيه بعد مدة من الزمن وقال له في الحرص على وعيه جيدا:" أن الجمال تبرك للحمل عليها، ولكن تتفاضل في تبليغ الأحمال" [4، p. 220، 221]

قيل في المدارسة والحفاظ على العلم:" اعلم أن الغدران كلها تأخذ الماء وإنما التفاضل فيما يبقى فيها الماء" [4، p. 221]

التعليم المنزلي:

يعتبر المنزل اللبنة الأولى في تشكيل المجتمع من مختلف النواحي، وحتى من الناحية العلمية والحضارية، لعل أكبر دليل عل ذلك في تاريخ الإسلام رمزية منزل الأرقم بن أبي الأرقم في عهد المكي، وهذا نظرا للخصوصية والاستقلالية التي يكتسيها المنزل بالنسبة لما عليه المجتمع، ولعلنا في عصرنا هذا في أمس الحاجة إلى عودة دور المنزل باعتباره معقلا للعلم والتربية المجتمعية[3]

قد اكتسى طلب العلم وتعليم الأهل أمور الدين أولوية بالغة لدى المجتمع النفوسي في مختلف العصور. فإما أن يكون معلّما للناس الخير وبالتبع فإن أهله يتعلمون من خلال حلقاته للآخرين، وإما أن يكون طالبا للعلم حتى يعود ويعلم أهله بعد ذلك، وكانوا يتهافتون إلى ذلك [6، 192 .p]، وما أكثر العلماء الذين تخرجوا من نفس الأسرة، مثال ذلك أبو محمد عبيدة بن زارور التغرميني (ق04هـ) الذي تعلم العلم وعلم، فأصبحت زوجته أم زعرور (نانة الجيطالية ق04هـ) عالمة، وابنهما مامد ، وأصبحت تعرف بالعالمة زوجة العالم وأم العالم. وقريب من ذلك ما ذكر عن الشيخ عمروس بن فتح المساكني ق03هـ وأخته التي تلقت العلم عنه أيضا، وماورد أيضا من نقاشات راقية بين الشيخ أبو مسور يصليتن الأدوناطي ق03هـ وابنته في مسائل العلم خلال القيام بأشغال المنزل، وقد اعترف العالم ببراعة ابنته عليه في الحجة [5، 264 .p]

ولعل أبرز صفة للتعليم بمنازل العلماء صفة العفوية والحميمية بدلا من العلاقة الرسمية التي تتسم بها أغلب العلاقات بين المعلمين وطلابهم في الأنظمة التعليمية الرسمية، ومن ثمار صفة العفوية في العلاقة التقرب إلى الوضع الحقيقي الأخلاقي للطلاب وتصحيحها، فقد ورد عن الشيخ أبو المنيب محمد بن يانس الذي كان يأخذ عنه أبو صالح الدركلي وأخو الشيخ عمرو بن يانس، فكان إذا دخل أبو صالح استوى في جلسته إن كان متكأ وكشف وجهه إن كان مغطى، وكان يقوم بالعكس إذا دخل أخوه عمرو بن يانس، فلما سئل عن ذلك قال: (إن أبا خليل جاء ليتعلم لله، أما أخي عمرو فإنه يتعلم ليؤذي به المسلمين ويعنتهم)، فقد اختار الشيخ تصحيح خلل القصد والنية في طلب العلم من خلال وضعية الجلوس وحسب، وفي هذا غنى عن طائل كلام وطول بيان وشرح الوسياني 246 – 247

تعتبر هذه العلاقة غير الرسمية بين المعلم وطلابه من جوهر العملية التربوية التي نحن بأمس الحاجة إليها، في عصر الرسميات التي طغت على جانب كبير من حقيقة العلم وأخلاقه، وقد وردت قصص كثيرة تعبر عن العفوية والحميمية في العلاقة بين الشيخ وطلابه، منها مثلا عدم انقطاع التعلم بسبب مشاغل الشيخ الخاصة،

3 التعليم المنزلي: ثورات تعليمية ظهرت في أمريكا منتصف القرن العشرين، مناهضة للإجبار على دخول المدارس. انظر: Take Action – Coalition for Responsible Home Education (responsiblehomeschooling.org)

فقد كان الطلبة يرافقون الشيخ في قضاء شؤونه والتعلم في الطريق مثل الانتقال في موسم الحرث إلى المزارع، فقد ورد عن أبي الربيع سليمان بن هارون اللالوتي (ق03هـ) أنه كان يخرج بتلاميذه إلى منازل بجانب مزارع الحصاد يعقدون فيها حلقاتهم. بل وفي أكثر الأوقات خصوصية للشيخ لم يكن يتخلى عن طلبته، مثال ذلك ما ذكر عن الشيخ أبي ميمون أنه حين ذهب لقرية للتزوج منها رافقته حلقته في الطريق وكانوا يتعلمون منه [5، p. 292]

ومن لم يكن من أهل العلم وكان من أهل المال، وليس باستطاعته العلمية إقامة حلقات علم في منزله، جعل منزله مأوا للشيوخ والطلاب يقيمون الحلقات فيه [2، p. 78]. وقد ورد عن أبي موسى عيسى بن زرعة التاملوشايتي ق04هـ، أنه كان وفير المال، قد تعلم العلم في منزله لكثرة استضافته للعلماء [7، p. 191]

كانت المنازل تتبادل الأدوار التعليمية فيما بينها حسب مراحل الطلب المختلفة، وقد ورد أن أبا يعقوب بن يدر الدرفي أنه اشتهر بجمعه الصبيان بمنزله في قرية أمسنان، يعلمهم الآداب والسير وحفظ القرآن الكريم. وأن من أشهر المنازل التي كانت لكبار الطلاب ومناقشة المسائل منزل الشيخ أبو القاسم البغطوري، وكان الشيخ أبو هارون الجلالمي ممن يقصده، وكان يطلب العلم حتى الصباح. ومن المنازل ما كان مخصصا لقراءة الكتب التي ترد من خارج الجبل والتعاون على العبادة، مثل مجلس الشيخ سليمان بن أبي هارون موسى الذي كان يأتي إليه محمد بن زكرياء البغطوري ومحمد بن يخزر بعد كل صلاة، وكانوا يتناوبون عليه إلى اليل في القراءة ويتأسف لو كان قد أدركها في شبابه [7، p. 145]

وقد كان للمرأة العالمة حضور قوي في تشكيل المشهد العلمي بالجبل، حيث ورد عن العالمة أم يحي الجلالمية أنه كان لها منزل علم للفتيا والتدريس والحفظ والنسخ والمناقشة والتفسير، وكان يقصدها طلاب أمسين ليلة كل جمعة للمدارسة والعبادة (ذكر في البغطوري)

كانت حلقات العلم التي تعقد في منازل العلماء كبار السن العاجزين عن التنقل من الأنماط التربوية البديعة التي تجمع بين الشكل والمضمون، وبين المنهج والمحتوى، وبين الخلق والعلم، مثال ذلك ما ورد عن أبي محمد عبيدة بن أفلح ق04هـ، أنهم كانوا يجلسون إليه في مدة قد تصل إلى أربعة أشهر، وقد كان بعض المشايخ ينتقلون بحلقاتهم بين منازل المشايخ العاجزين، مثل ما كان يفعله الشيخ أبو حسان خيران بن ملال الفرسطائي ق03هـ، وكان لا يعود إلى منزله أحيانا إلا بعد شهرين إن اعتبرنا مهمة القضاء من المخرجات النهائية لنظام التعليم، فإنه هو الآخر كان من أدوار منازل العلماء، حيث كان من أساليب الترشيح النهائي أن يتولى ذلك أحد المشايخ في منزله، وقد ورد أنه كانت عجوز في الجبل امتحنت رجلا أردا شيوخ نفوسة أن يولوه القضاء، فأرسلوه إليها، فاختبرته برغيف تركته على النار وخرجت، فترك هذا الرجل الرغيف فاحترق فقالت في حقه: إما أنه رجل

متكبر مضيع وإما معجاز مهين فتركوه، وأرسلوا إليها آخر فاختبرته بنفس الطريقة فقلب الرغيف وكان ذلك علامة أهليته للقضاء فولوه القضاء [5، p. 278]، وما أحوجنا إلى مقاربات تقييس تربوية أقرب إلى طبيعة الإنسان البشرية المركبة بدلا من الإنسان المختزل في بعده المادي المحسوب، وما أكثر مقاربات التقييم والتقييس التربوية ذات البعد المادي، التي تعتمد على الكم المعلوماتي، وليست لها القدرة الكافية على تقييس البعد المعنوي من خلال ما مضى من أمثلة اتضحت أبعاد المقاربة التربوية المنزلية، والتي تعتبر اللبنة الأساسية لانطلاق أي دعوة، حيث يتحمل أفراد مبادرون تكلفة مبادرتهم ماديا ومعنويا، وأن يستمروا على ذلك إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، تتلخص خصائصها في الإخلاص التام للعلم وخدمة أهله، وفي العفوية والتلقائية والصدق في الحياة اليومية مع العلم وأهله، وفي رعاية العلم وأهله رعاية مادية لضمان استمراريته.

تظهر أهمية هذه المقاربة وخصائها حين نستحضر السياق التربوي الذي نعيشه وما يحمله من تحديات، حيث نجد أننا رهن أنظمة تعليمية رسمية مستعمرة، بحاجة إلى إصلاحات لا تتحقق إلا بعد أمد طويل، وفي الطريق أجيال كثيرة تذهب ضحية، وقد ظهرت مقاربات في العالم الغربي تدعو إلى أنماط تعليمية أكثر خصوصية خارج سياق السلطة الضاغط والمحدود في خياراته.

ومن التحديات أيضا الاختراق الرقمي الذي يهدّد شخصية أبنائنا وبعدهم القيم، والذي يجعلهم في أمس الحاجة إلى أنماط تربوية أكثر خصوصية لفهم تحدياتهم الخاصة والتعامل معها، ولا أنجع من التعليم المنزلي لحماية الأجيال من الاختراق وبناء المستقبل

التعليم بالأسفار:

التعلم والتعليم من خلال السفر والتنقل من الأنماط البارزة في كتب السير الإباضية، نظرا لأسباب كثيرة فرضتها المرحلة التاريخية، وقد حققت ثمارا كثيرة منها: كثرة التقاء العلماء بعضهم ببعض، مما كانت سبب ثراء علمي ومناقشات كثيرة أثرت الفكر الإباضي.

التعلم بالسفر في كتب السير يقصد بها تنقل عالم بطلبته يطوف بهم بين القرى. حيث كان ينضم إليه أناس آخرون أيضا يطلبون العلم ويسألون عن دينهم، وقد أطلق عليه اسم نظام الحلقات المتجولة [2، p. 79]، من أهدافها الأساسية أن الناس لا يقبلون إلى طلب العلم، فكان من الضروري الذهاب إليه واستمالتهم، ومن أهدافها أيضا التقرب إلى حاجة الناس والوقوف على حقيقة ما ينقصهم في أمور دينهم من خلال العيش معهم [2، p. 80]

يروى أن أبا النجاة يونس التملوشايتي رجع إلى بلده بعد 07 أعوام، ويقال أنه مكث في يفرن عاما كاملا، وقد ورد عن أبي عبيدة جلدين البغطوري (ق04ه) أنه كان فقيرا في بداية رحلته في الطلب، حتى اشتهر بالعلم،

وبنظام التجوال بالحلقات [5، p. 264]، وقد اشتهر بالحلقات المتنقلة كل من أبي زكريا يحي بن أبي يحي (05هـ)، وأبو زكرياء يحي سفيان اللالوتي (ق04هـ).

وعن أبي حسان خيران بن ملال الفرسطائي (ق03هـ) أنه يكون يسافر محييا دين الله والعلم بين الناس الضعفاء خاصة، يعلمهم ما يحتاجونه من أمور دينهم، فكان يمكث في ذلك شهرين، وقد ورد أن كانت النساء يقبلن بالصوف معهن في أيديهن يشتغلن خلال حلقة العلم، فناهن عن ذلك حتى يركزن مع العلم، لكنه لم يعد يحضرن الحلقة، فأرسل إليهن ورخص لهن عمل الصوف ليحضرن المجلس [5، p. 175]

يعتبر سفر العلماء سببا لتحقيق وحدة الثقافة الإسلامية والتواصل بين أطرافها كما ورد في عدة مصادر، ويعتبر الشيخ محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجناوني (160هـ) أول الرحالة الإباضية النفوسيين للعلم، كما يذكر في ذات السياق لواب بن سلام الأغرميماني التوزري (3هـ) حين سافر إلى الحج والتقى بعلماء من عمان، ويذكر أيضا أبو الربيع سليمان بن زرقون التابديوتي النفوسي (ق04هـ) حين تنقل إلى توزر وسجلماسة، وأبو عمر عيسى بن سجميمان إلى ورجلان وغيرهم كثير، مما يدل على أهمية السفر في حياة العلم والعلماء

تعتبر زيارة العلماء لبعضهم البعض من المقاصد الأساسية التي كانت السبب وراء نشاط التعلم بالأسفار في كتب السير، وقد ورد عن عمران بن زيري في زيارة الأخيار يقول لنوح:" زر الأخيار الذي لا يزور الأخيار كالجرو الذي لا يفتح عينيه. [3، p. 667]، وقد تمتد مدة الزيارة فترة طويلة، فقد روي عن أبي حسان خيران بن ملال الفرسطائي أنه كان يقيم حلقات تصل لمدة شهر عند العالمة أم الربيع في قرية وريوري وتساعده أحيانا في أموره المادية.

بلغت الأسفار أوجها مع اكتمال تشكل نظام الحلقة على يد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي(ق04هـ) ، حيث كان وليد أسرة متنقلة من فرسطاء إلى الجنوب التونسي، أما هو من الجبل إلى القيروان إلى جربة والحامة، حيث كان يتعلم في كل محطة فنونا مختلفة، وكان عازما على السفر إلى الشيخ أبي عمران موسى بن زكرياء فمنعه أهل جربة وطلبوا منه تنظيم نظام حلقة العزابة، الذي جعله ينتشر ويسافر بشكل أكبر لتعليم الناس الخير بداية بجبل نفوسة إلى طرابلس إلى لماية إلى جربة إلى تين يسلي إلى قصطالية، تفاجالت، وادي ريغ، وغلانة، قنطرارة، وارجلان، وإلى بادية بني مصعب، وله تلاميذ كثر في مختلف البلدان [2، p. 90، 91]

تعيش المنظومة المدرسية تحديات كثيرة منها العزوف الشديد للطلاب عنها، وظهور إشكالات تربوية كثيرة نتيجة نمطها الجامد على أسلوب الأقسام والتلقين من جهة، ونتيجة التحولات النفسية التي تعتري الطلاب راء العالم الرقمي الذي يحيون داخله، ولا أرى أنسب لهذا السياق المتأزم من مثل الأسفار التي تدمج بين الفرجة

والاستكشاف والتعلم وتحمل المسؤولية.

نمط الإقامات الداخلية:

يقصد بالتعليم الداخلي ذلك النمط الذي يكون الطالب مقيما في نفس مكان التعليم. ويعتبر هذا النمط من الأساليب الاجتماعية المتقدمة في تنشئة الطلاب، نظرا لما يحتاجه من طاقة بشرية تشرف على التعليم وما يحتاجه من تمويل ورعاية.

يعتبر المال عنصرا حاسما لقيام هذا العلم، فإن كان تحت سلطة ونفوذ تولت هي تمويله بما يبقي نفوذها، لكن إن كان خارج أي سلطة ونفوذ فإنه يحتاج إلى أساليب أخرى ليستمر ويثمر، وقد ورد في هذا الصدد نماذج عدة من العلماء الذين تحملوا تكاليف طلبتهم فضلا عن تعليمهم وتربيتهم، مثال ذلك ما ورد عن أبي هارون الجلالمي، حيث كان ينفق ثلث ماله على طلبة مدرسته [7، 112 .p]، وقد ورد أيضا عن أبي عبد الله محمد بن سليمان الأبديلاني النفوسي (ق06هـ) أنه كان له مال ويعتني بطلبته بماله الخاص ويشتري لهم ما يلبسون صيفا وشتاء، وعن أبي زكرياء الباروني أنه كان له أقساما داخلية يأوي إليها الطلبة الذين يقبلون من بعيد، وكان ينفق عليهم من ماله الخاص، وقد اجتمع له في فترة من الفترات مائة طالب، وكان حريصا على بقائهم، وقد حدث أن أصيبوا بفاقة عمت أهل البلد، فتحرج الطلبة من الثقل الذي كان على شيخهم فأرادوا المغادرة، فأخذهم إلى مكان فيه من المال الشيء الكثير ليقنعهم على المكوث ومواصلة الدراسة.

لم يكن الأمر مقتصرا على العلماء، بل كان للعالمات جهاد كبير في هذا النمط من التنشئة لما له من أثر كبير وبعيد المدى، فقد ورد عن أم يحي[4] زوجة أبي ميمون (03هـ) أنها كان لها مبيتا للطالبات التي يأتين من أماكن بعيدة لحضور حلقات العلم مع بقية العزابة في منزلها.

كان العلماء يتبادلون الأدوار في تكوين الطلبة على اختلاف أعمارهم والفنون التي يتعلمونها، وفي هذه الصورة الذهنية التي وردت في كتب السير حول مراحل التعلم توضيح لها، حيث يمثلون ثلاث علماء في منطقة واحدة بثلاث نجارين، الأول يجلب الخشب، الثاني يقطعه، الثالث يضم اللوح بعضها إلى بعض ويدق المسامير. فالأول كناية عن الاستقطاب والاستمالة لطلب العلم وتثبيتهم على ذلك من خلال الزيارات والأسفار والآداب وقصص الصالحين، والثاني كناية عن بدايات الطلب والحفظ وتحصيل العلوم الأساسية، والثالث تعتبر مرحلة مناقشة المسائل والفتوى [4، 218 .p]

4 أم يحي تكسليت: (283هـ) عالمة من أهل جليمة بجبل نفوسة، أخذت العلم عن ابن غلبون من أهل كزين، وعن جندول، ثم عن أبان بن وسيم الويغوي، كان يجتمع عندها العزابة من أهل أمسين، طلبة ومشايخ، في كل ليلة جمعة يتذاكرون ويحيون ليلتهم بالعبادة. انظر: [5، 154 .p]

يعتبر نظام الحلقة[5] الذي أنشأه الشيخ أبي عبد الله أهم ما يمكن أن يقدم لنا صورة واضحة عن نظام التعليم المعتمد في هذا النمط، فلم يكن نظاما تعليميا مختزلا في تقديم المعلومات، وإنما كان نظاما تربويا شاملا لمختلف جوانب التنشئة، بداية من نظام اللباس والهيئة وطريقة الأكل [8، p. 172]، إلى أكبر المسؤوليات التعليمية التي يتقلدها كبار الطلبة

يتميز النظام بذاتية التسيير من خلال المسؤوليات التي كانت موزعة على الطلبة في تسيير شؤون الحلقة، فيكون المنضم إلى نظام الحلقة متعلما ممن فوقه ومسؤولا على تعليم من دونه في نظام مهام دقيق وواضح، ومن لم يكن له نصيب من العلم كانت لم يكن النظام يقصيه خارجا، وإنما يستوعبه بمهام تنظيمية تتناسب مع طبيعة مداركه، ويكلف بالمتابعة والاهتمام دون معاتبته على التحصيل والفهم، مثل الطرشان والهارمون وقاصري الفهم [8، p. 181، 182]

تظهر ملامح النظام الكبرى في مهام شيخ الحلقة والتي تتوزع بين مهام تعليمية مثل تعليم الفنون ومذاكرتها بعد كل ختمة يومية، ومهام تربوية وجدانية مثل استفتاح مجلس القرآن في الثلث الأخير من الليل وإيقاظ التلاميذ به، ومجالس وعظ وحكايات زهد يعقدها كل جمعة، ومهام تربوية تنظيمية مثل تفتيش أحوال التلاميذ واحدا واحد وتمحيصها يومي الإثنين والخميس، والفصل في شأن الضيوف ومن يريد منهم الانضمام إلى الحلقة، والحكم في النزاعات بين التلاميذ، والفصل فيما يباع ويشترى وما يدخر ويقسم على التلاميذ حسب مراتبهم وأحوالهم

يعيش عضو الحلقة في إيقاع زمني متناغم مع النوافل الواردة في القرآن الكريم أو في السنة الشريفة أولا ومتناغم مع طبيعته ثانيا، خلال اليوم كاعتماد شروق الشمس وغروبها كموجه للنشاط وبدايته و نهايته، وارتباطه بالذكر بإنهاء كل مرحلة بالختمة والدعاء، كما أن التلامذة يجبرون على القيلولة إذا كانت عدم القيلولة تعيقهم على قيام اليل، ويختتم اليوم بختمة الذهاب للنوم تكون بالدعاء والنصح وهي غير إجبارية، وهذه الحرية الموجودة في ثنايا البرنامج بالرغم من قلتها تعتبر مهمة جدا في بناء الوازع الداخلي في المجاهدة، ثم يستيقظ في الثلث الأخير من اليل أو الربع الأخير لقراءة القرآن جماعيا أو فرادى، ريثما يتوضأ الجميع ليختموا بالاستغفار والدعاء والقيام لصلاة الفجر في المسجد، هذا في البرنامج اليومي وأما خلال الأسبوع تتمثل في وقفات الاثنين والخميس

5)العزابة: (جمع مفرده عزابي وهو مشتق من عزب عن الشيء: تركه وانصرف عنه، واستعير لمن بعد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة، وبالأمازيغية يقال: إعَزَّابَنْ، مفرده: أعَزَّابْ. وهو: كل من لازم الطريق وطلب العلم وصاحب أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، ولهذا الصنف سمات انفردوا بها، وأحوال عرفوا بها، وذلك في تسميتهم وخطابهم ومؤاكلتهم ولباسهم أوقات نومهم وقيامهم وأورادهم وصيامهم وعبادتهم... (...) تعود بداية استعمال هذا المصطلح إلى أيام أبي عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي، حينما أسس الحلقة ورتب قوانينها في القرن 05 هـ/ 11 م ولا تزال قائمة إلى يومنا هذا). أنظر معجم مصطلحات الإباضية، مجموعة من الباحثين، ج02، ص 699.

والجمعة المخصصة للوعظ والإرشاد والحث على الاجتهاد[6]

تبدو أن المتابعة التربوية التي ترافق الطالب إلى حياته الاجتماعية من الأسباب الأساسية التي كانت وراء الانتقال السلس للنظام التربوي إلى النظام الاجتماعي، فقد كان للطالب العزابي المنتمي إلى الحلقة ضوابط صارمة في التعامل مع أهل البلد، مثل حسن التصرف مع الكبير ومن يريد التعلم، والابتعاد عن أهل الضلال، وكان نظام الخطة في الحلقة هو الضابط على الالتزام.

يمكن أن نعتبر نظام حلقة العزابة هي الذروة التي بلغها الفكر التربوي الإباضي في مجال المرافقة التربوية، فقد كان جامعا بين نظام الحلقة المسجدية، والنظام الإقامي الداخلي، ونظام الحلقات المتنقلة، في إيقاع زمني منضبط ومدروس من طرف شيخ الحلقة، ومن المشاهد التي وردت أن الشيخ أبي عبد الله كان كثير الخروج إلى بوادي مزاب، لغرض (إراحة خاطره وخواطر تلاميذه واستصلاحها، وتدبير قوى أجسادهم واستصحاحها، (....) وأيضا فإن بني مصعب كانوا واصلية فعمت عليهم بركته فرجعوا إلى الدين الحق والطريقة المرضية، وذلك كان أكثر قصده في انتجاعهم وحلول رباعهم، وكان يبين لهم طرقا يتبعونها ويضرب لهم أمثالا حسنة يفهمونها) [8، p. 184، 185]، يظهر في هذا المشهد التربوي مراعاة الجانب النفسي للتلامذة والترفيه عنهم بالموازاة مع التعلم والتحصيل، وفي الجمع في رحلته بين الترفيه و نشر العلم وتعليم الناس الخير، كما أنه كان في فصل الشتاء بعد أن يحرث مزرعته يصعد بحلقته إلى أبي سليمان داود بن أبي يوسف، (يقيمون عنده حتى يسمعوا صيّ البعوض فينزل إلى ضيعته) [4، p. 261]

نظام التعليم المرتبط بالمسجد وبدايات التحول:

يبدو من خلال ما تم الاطلاع عليه من نظم التعليم وأساليبها أن النظام المنزلي والتعلم بالأسفار والزيارات بدأ يتناقص مع بداية القرن السابع، وبدأت بالظهور بدلا عنها حلقات المساجد، ولعل السبب الأساسي الذي أراه وراء هذا التحول زيادة عدد المنتسبين إلى الإباضية في المناطق الأساسية للإباضية، وبداية تشكل النظام الاجتماعي فيها، فبدأت الأنظمة التربوية تتحول إلى أنظمة اجتماعية، وبدأت التربية تأخذ حيزا معينا في النظام الاجتماعي بعدما كانت هي حجر الزاوية وعليها التركيز الكبير، فبدأت تظهر محاضر بجانب كل مسجد لتعليم الصغار والكبار، رغم كل هذا حافظ الكثير من المشايخ على ملامح المرافقة الحانية لطلاب العلم

ورد عن الشيخ أبو سهل البستوني (ق07هـ) أن برنامجه اليومي يبدأ بصلاة الفجر والاستفتاح، ثم يتجه إلى أشغال دنياه إلى وقت القائلة، يقيل، ثم يصلي الظهر، ويتجه إلى مسجد مصراتن يشتغل في العبادة إلى العصر،

6 انظر: رسالة الماجيستر بعنوان: البعد الوجداني للعقيدة عند الإباضية من خلال كتب السير، ص343، عيسى زكرياء

ثم يجلس في مجلس العلم مع تلاميذه إلى الغروب، ثم يصلي صلاة المغرب، ويجلس معه إلى صلاة العشاء. وقد ورد أيضا عن أبي موسى عيسى الطرميسي (ق07هـ) أنه كان يشرف على مدرسة، وأنه كان حريصا مع طلبته على الكتابة وعدم الاكتفاء بالمشافهة، فكان من تلاميذه إسماعيل الجيطالي، وعامر بن علي الشماخي (ق08هـ) الذي أنشأ مدرسة في ميتيون بعد أن أتم تعلمه وتركها تسير، ثم انتقل إلى قريته لينشئ مدرسة أخرى ومكث للتدريس فيها إلى وفاته، ومن المدارس المشهورة أيضا مدرسة أبي زيد المزغورتي (ق08هـ) والتي كانت على شكل غار، وقد بني عليها مسجدا حديثا.

كانت مراحل التعلم تبدأ من المرحلة الابتدائية بتعلم السير وآداب الصالحين وحفظ القرآن في مختلف مساجد الجبل، وهي في عمر 05 سنوات – 15 سنة، ثم في المرحلة المتوسطة يواصل حفظ القرآن واللغة والإعراب، ولم يكن لهذه المرحلة عمر محدد، وكانت الدراسة في كتب مبسطة في اللغة والنحو والمنطق والحديث والفقه، مثل الوضع، وديوان العزابة، جمل الزجاج في النحو، ومقامات الحريري، الدعائم، الأشعار الستة. ثم ينتهي النظام إلى المرحلة العليا بتعلم علم الكلام وأصول الدين والمنطق، لا يصلها إلا الأذكياء الراغبون في مواصلة التعلم، غير محدودة الزمن وقد تصل إلى ثلاثين سنة حسب العلم المدروس ومسائله وتفرعاتها [2، pp. 84–87]

الشكر والتقدير:

لا يسعني في نهاية هذه الورقة إلا أن أسدي الشكر الجزيل لأستاذي الدكتور محمد بن موسى باباعمي، حيث كان هو السبب في دفعي إلى دراسة كتب السير في مرحلة الماجستير، ومن خلال ذلك الاهتمام وتلك الدراسة تجمعت لدي مادة مهمة كانت الانطلاقة لهذه الورقة، كما لا يفوتني شكر المدرسة العلمية التي ظلت ولاتزال تدفع إلى البحث والممارسة التربوية جنبا إلى جنب، وفيها ودت مبادرات كثيرة في مجال المرافقة التربوية منها برنامج الصحبة الذي أصبحت مشرفا عليه، ولا يخفى ما للبيئة الثرية المستفزة للنقاش العلمي من قيمة في الدفع للكتابة في مختلف السياقات.

الخاتمة:

كانت البدايات التعليمية للمجتمع الإباضي أكثر حميمية وخصوصية بعد زوال السلطة التي كانت تحميهم في المغرب العربي، والمقصود بالحميمية ذلك القرب الشديد والتناغم الكبير بين المعلم والطالب، وبين الخلق والعلم، وبين مختلف حاجات الفرد المسلم بشكل منسجم في إطار رؤية توحيدية شاملة، وفي تراثنا التربوي الكثير مما يمكننا استلهامه وتكييفه مع مستجدات العصر، لأن الإنسان هو هو، والغاية هي هي، وأصول مواطن الضعف ومواطن القوة هي هي لم تتغير ولن تتغير إلى قيام الساعة يعتبر نظام الحلقة نقطة تحول مفصلية في أساليب

المرافقة وتكوين الخلائف العلمية، كما يرى الباحث أن القرن السابع الهجري –مبدئيا– بدايات التحول من النظام التربوي إلى النظام الاجتماعي، وأن الخلل الذي يحدث الآن هو محاولة استرجاع أصول النظام الاجتماعي الذي تعصف به مختلف تحديات عصر ما بعد الحداثة، يمكن أن نعتبر التدرج في إعادة بناء أي مجتمع لا يكون إلا بالانطلاق بالعلم في المنازل وبجهود وتضحيات فردية، ثم تتطور إلى أساليب مختلف تحقق الانسجام والتوافق بين أهل العلم إلى جانب العلم والمعرفة، مثل الرحلات والأسفار، والبرامج الداخلية المغلقة، ثم تصل إلى أن يكون العلم حالة رسمية يدافع عنها المجتمع في مختلف السياقات والأشكال كالمدارس والمساجد.

منهج المرافقة التربوية بالمفهوم المعاصر مخترق بتصورات غربية بعيدة عن المرجعية التوحيدية في النظر إلى الإنسان، وفي كتب السير على وجه الخصوص المادة التربوية الواسعة التي بحاجة إلى استخراج وتكييف، وتعتبر الحلقات المنزلية والتعليم بالسفر والنظام الإقامي أبرز الأنماط التربوية التي كان تتحقق من خلالها خصائص المرافقة التربوية بالمفهوم المعاصر، والتي بحاجة إلى استلهام وتوجيه كبير لتكون متناغمة مع رؤيتها الكونية.

تعتبر الورقة استفزازا لأسئلة في السياق التربوي أكثر من كونها إجابة وتقديم لحلول، ومن الأسئلة التي بحاجة إلى بحوث مستقبلية ما يلي:

ما معالم المنهج الجامع بين البعد الأخلاقي والبعد المعرفي في المنظومة التربوية الإباضية؟

ما قواعد تحيين الأساليب التربوية التي آتت ثمارها في الماضي، لإعادة تشكيل حضارة من نفس الخصائص والمنطلقات؟

هل يمكن تحقيق عودة إلى الذات الإباضية من خلال النظام الاجتماعي دون العودة إلى نقطة الانطلاق التربوية؟

هل يمكن أن تكون الأساليب التربوية الماضية جوابا للتحديات التربوية لعصر ما بعد الحداثة؟

ما الأنماط التربوية المعاصرة للتجربة الإباضية، وما وجه التأثر والتأثير الذي كان بينها؟

قائمة المصادر:

[1] م. باباعمي و ط. كوزي، من الكمون إلى الفعل الحضاري سؤال العلاقة بين الفكر والفعل، 1 المحرر، الجزائر: كتابك، 2015.

[2] م. ح. كوردي، الحياة العلمية في جبل نفوسة وتأثيرها على بلاد السودان الغربي (خلال القرون 2-8هـ/ 8-14م)، 1 المحرر، ليبيا: مؤسسة تاوالت الثقافية، 2008.

[3] أ. ا. أ. ب. أ. ع. س. الشماخي، كتاب السير، 1 المحرر، م. حسن، المحرر، بيروت: المدار الإسلامي،

.2009

[4] أ. ب. س. الدرجيني أبو العباس، طبقات المشايخ بالمغرب، المجلد 2، إ. طلاي، المحرر، قسنطينة: مطبعة البعث، 1974.

[5] أ. ا. س. ع. ا. ب. ح. الوسياني، سير الوسياني، 1 المحرر، المجلد 1، ع. ل. ح. سليمان بوعصبانة، المحرر، مسقط: وزارة التراث والثقافة، 2009.

[6] ن. ع. الندابي،" منازل العلماء ودورها في النهضة العلمية بجبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (ق:3هـ/ 5م – ق9: هـ/11م)،" مجلة جامعة المدينة العالمية، المجلد 44، 303-275 .pp، جانفي 2023.

[7] م. م. البغطوري، روايات الأشياخ أشياخ جبل نفوسة الشهير بسير البغطوري، 1 المحرر، ع. ل. ح. سليمان بوعصبانة، المحرر، بركاء: مكتبة خزان الآثار، 2017.

[8] أ. ب. س. الدرجيني أبو العباس، طبقات المشايخ بالمغرب، المجلد 1، إ. طلاي، المحرر، قسنطينة: مطبعة البعث، 1974.